تدعوهم الى الهدى يعني وان تدعوا ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يتبعوكم لان الله تعالى حكم عليهم بالضلالة فلا يقبلوا
الهداية سواء عليكم ادعوتموهم يعني الى الدين والهدى يعني الهداية ام انتم صامتون اى ساكتون عن دعائهم فهم في كلا الحالين
لا يؤمنون وقيل ان الله تعالى لما بين في الاية المتقدمة عجز الاصنام بين في هذه الاية انه لا علم لها بشيء البتة
والمعنى ان هذه الاصنام التي يعبدها المشركون معلوم من حالها انها لا تضر ولا تنفع ولا تسمع لمن دعاها الى خير
وهدى ثم قوى هذا المعنى بقوله سواء عليكم ادعوتموهم ام انتم صامتون وذلك ان المشركين كانوا اذا وقعوا
في شدة وبلاء تضرعوا الى اصنامهم فاذا لم يكن لهم الى الاصنام حاجة سكتوا او صمتوا فقيل لهم لا فرق بين دعائكم الاصنام
وسكوتكم عنها فانها عاجزة في كل حال قوله تعالى ان الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم يعني ان الاصنام التي تعبدها
هولاء المشركون انما هي مملوكة لله امثالهم وقيل انها مسخرة من الله مثل ما انتم مسخرون مذللون وقال مقاتل
في قوله عباد امثالكم انها الملائكة والخطاب مع قوم كانوا يعبدون الملائكة والقول الاول اصح وفيه
سوال وهو انه وصفها بانها عباد مع انها جماد والجواب ان المشركين لما ادعوا ان الاصنام تضر وتنفع
وجب ان يعتقدوا كونها عاقلة فاهمة فوردت هذه الالفاظ على وفق معتقدهم تبكيتا لهم وتوبيخا كذلك
قال فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين في كونها الهة وجواب اخر وهو ان هذا اللفظ انما ورد في معرض
الاستهزاء بالمشركين والمعنى ان قصارى هذه الاصنام التي تعبدونها احياء عاقلة على معتقدكم فهم عباد
الله امثالكم ولا فضل لهم عليكم فلم عبدتموهم وجعلتموهم الهة وجعلتم انفسكم لهم عبيدا ثم وصفهم بالعجز
فقال تعالى الهم ارجل يمشون بها ام لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم اذان يسمعون بها
يعني ان قدرة الانسان المخلوق انما تكون بهذه الجوارح الاربعة فانها الات يستعين بها في جميع اموره
والاصنام ليس لها من هذه الاعضاء والجوارح شيء فهم مفضلون عليهم بهذه الاعضاء لان الرجل الماشية افضل
من الرجل العاجزة عن المشي وكذلك اليد الباطشة افضل من اليد العاجزة عن البطش والعين الباصرة افضل
من العين العاجزة عن الادراك والاذن السامعة افضل من الاذن العاجزة عن السمع فظهر بهذا البيان ان
الانسان افضل من هذه الاصنام العاجزة بكثير بل لا فضل لها البتة لانها حجارة وجماد لا تضر ولا تنفع واذا كان
الامر كذلك فكيف يليق بالانسان العاقل الافضل ان يشتغل بعبادة الاخس الادون الارذل الذي لا فضل له
البتة ولا يضر ولا ينفع فامتنع بهذه الحجة كون الاصنام الهة ثم قال تعالى قل ادعوا شركاءكم اى قل يا محمد لهولاء
المشركين ادعوا شركاءكم هذه الاصنام التي تعبدونها حتى يتبين عجزها ثم كيدون يعني انتم وشركاؤكم وهذا متصل
بما قبله في استكمال الحجة عليهم لانهم لما فرغوا العبادة من لا يملك ضرا ولا نفعا قيل لمحمد صلى الله عليه وسلم قل ان
معبودي يملك الضر والنفع فلو اجتهدتم في كيدي لم تصلوا الى ضري لان الله يدفع عني وقال الحسن كانوا يخوفونه
بالهتهم فقال الله تعالى قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون اى لا تمهلون واعجلوا في كيدي انتم وشركاؤكم
ثم كيدو وكان ولي الله يعني ان الذي يتولى حفظي ونصري عليكم هو الله الذي نزل الكتاب يعني القران والمعنى
كما ايدني بانزال الكتاب كذلك يتولى حفظي ونصري وهو يتولى الصالحين يعني يتولاهم بحفظه ونصره فلا يضرهم عداوة
من عاداهم من المشركين وغيرهم ممن اراد بهم سوء وكادهم بشر قال ابن عباس يريد بالصالحين الذين لا يعدلون بالله شيئا
فلا يعصونه وفي هذا مدح للصالحين لان من تولاه الله بحفظه فلا يضره شيء قوله عز وجل والذين تدعون من
دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون هذه الاية قد تقدم تفسيرها والفائدة في تكريرها ان
الاية الاولى مذكورة على جهة التقريع والتوبيخ وهذه الاية مذكورة على جهة الفرق بين من تجوز له العبادة وهو
الله الذي يتولى الصالحين بنصره وحفظه وهذه الاصنام ليست كذلك فلا تكون معبودة وقوله تعالى وان تدعوهم

الى

الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون قال الحسن المراد بهذا المشركين ومعناه ان تدعوا
ايها المؤمنون المشركين الى الهدى لا يسمعوا دعاءكم لان اذانهم قد صمت عن سماع الحق وتراهم ينظرون اليك يا محمد
وهم لا يبصرون يعني ببصائر قلوبهم وذهب اكثر المفسرين الى ان هذه الاية ايضا واردة في صفات الاصنام لانها
جماد لا تضر ولا تنفع ولا تسمع ولا تبصر قوله تعالى خذ العفو العفو هنا الفضل وما جاء بلا كلفة والمعنى اقبل
الميسور من اخلاق الناس ولا تستقص عليهم فيستقصوا عليك فتتولد منه العداوة والبغضاء وقال مجاهد
يعني خذ العفو من اخلاق الناس واعمالهم من غير تجسيس وذلك مثل قبول الاعتذار منهم وترك البحث عن الاشيا
والعفو المساهلة في كل شيء خ عن عبد الله بن الزبير قال ما نزلت خذ العفو وامر بالعرف الا في اخلاق الناس
وفي رواية قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس كذا في جامع الاصول في الجمع بين
الصحيحين للحميدي قال امر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ان ياخذ العفو من اخلاق الناس او كما قال وقال ابن عباس
يعني خذ ما عفا لك من اموالهم فما اتوك به من شيء فخذه وكان هذا قبل ان تنزل براءة بفرائض الصدقات وتفصيلها
وما انتهت اليه وقال السدي خذ العفو اي الفضل من المال نسختها اية الزكوة وقال الضحاك خذ ما عفى من اموالهم
وهذا قبل ان تفرض الصدقة المفروضة وامر بالعرف يعني بالمعروف وهو كل ما امرك الله به وهو كل ما عرفته بالوحي
من الله عز وجل وكل ما يعرف في الشرع وقال عطا يعني لا اله الا الله واعرض عن الجاهلين امر الله تعالى نبيه صلى الله
عليه وسلم ان يصفح عن الجاهلين وهذا قبل ان يومر بقتال الكفار فلما امر بقتالهم صار الامر بالاعراض عنهم منسوخا
باية القتال قال بعضهم اول هذه الاية واخرها منسوخ واوسطها محكم يريد نسخ اولها اخذ الفضل فنسخ
بفرض الزكاة والامر بالمعروف محكم والاعراض عن الجاهلين منسوخ باية القتال وهي انه لما نزلت هذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل ما هذا قال لا ادري حتى اسال ثم رجع فقال ان ربك يامرك ان تصل
من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك ذكره البغوي بغير سند وقال جعفر الصادق امر الله عز
وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بمكارم الاخلاق وليس في الاية اجمع لمكارم من هذه عن عائشة قالت لم يكن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا سخابا في الاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح
اخرجه الترمذي وروى البغوي بسنده عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله بعثني
لتمام مكارم الاخلاق وتمام محاسن الافعال قوله عز وجل واما ينزغنك من الشيطان نزغ قال ابن زيد لما نزلت قوله
تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين قال النبي صلى الله عليه وسلم فكيف بالغضب يا رب فانزل الله
واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ونزغ الشيطان عبارة عن وساوسه ونخسه في القلب
وقيل النزغ الازعاج واكثر ما يكون عند الغضب واصله الازعاج بالحركة الى الشر والافساد يقال نزغت
بين القوم اذا افسدت بينهم وقال الزجاج النزغ ادنى حركة تكون ومن الشيطان ادنى وسوسة والمعنى
واما يصيبنك يا محمد ويعرض لك من الشيطان وسوسة او نخسة فاستعذ بالله يعني فاستجر بالله والجا اليه في دفعه
عنك انه سميع يعني لدعائك عليم بحالك وقيل ان الشيطان يجد مجالا في حمل الانسان على ما لا ينبغي في حالة الغضب والغيظ
فامر الله بالالتجا اليه والتعوذ به في تلك الحالة فهي تجري مجرى العلاج لذلك المرض فصل واحتج الطاعنون في عصمة الانبيا
بهذه الاية فقالوا لو كان النبي معصوما لم يكن للشيطان عليه سبيل حتى ينزغ في قلبه ويحتاج الى الاستعاذة والجواب عنه من وجوه
الاول ان معنى الكلام ان حصل في قلبك نزغ من الشيطان فاستعذ بالله ولم يحصل ذلك له البتة فهو كقوله لئن اشركت
وهو بري من الشرك البتة والوجه الثاني على تقدير انه لو حصل وسوسة من الشيطان لكن الله عز وجل عصم نبيه صلى
الله عليه وسلم عن قبولها وثبتها في قلبه م عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)